

وأقبل عليه بقلبه ووجهه ، ولا يحدث في صلته ، ولا يجعل بين عينيه صورة مصنوعة يدعوها ويتضرع إليها .

فالذين اختاروا تلك الصلاة التي هي في الحقيقة استهزاء بالمعبود لا يرضاها المخلوق لنفسه فضلاً أن يرضى بها الخالق على هذه الصلاة التي لو عرضت على من له أدنى مُسكّة من عقل لظهر له التفاوت بينهما .. هم الذين اختاروا تكذيب رسوله وعبده على الإيمان به وتصديقه واتباعه .

فالعاقل إذا وازن بين ما اختاروه ورجبوا فيه وبين ما رغبوا عنه تبين له أن القوم اختاروا الضلالة على الهدى والغي على الرشاد ، والقيح على الحسن ، والباطل على الحق ، وأنهم اختاروا من العقائد أبطلها ، ومن الأعمال أقبحها ، وأطبق على ذلك أساقفهم<sup>(١)</sup> وبتاركهم ورهبانهم فضلاً عن عوامهم وسقطهم .

**فصل :** ولم يقل أحد من المسلمين إن ما ذكرتم من صغير وكبير وذكر وأثنى وحر وعبد وراهب وقسيس كلهم تبين له الهدى ، بل أكثرهم جهال بمنزلة الدواب السائمة ، معرضون عن طلب الهدى فضلاً عن تبيينه لهم ، وهم مقلدون لرؤسائهم وكبرائهم وعلمائهم ، وهم أقل القليل وهم الذين اختاروا الكفر على الإيمان بعد تبين الهدى . وأى إشكال يقع للعقل في ذلك ؟ ولم<sup>(٢)</sup> يزل في الناس من يختار الباطل ، ومنهم<sup>(٣)</sup> من يختاره جهلاً وتقليداً لمن يحسن الظن به ، ومنهم من يختاره مع علمه ببطلانه كبراً وعلواً ، ومنهم من يختاره طمعاً ورجبة في مأكل أو جاه أو رياسة ، ومنهم من يختاره حسداً وبعياً ، ومنهم من يختاره محبة في صورة وعشقا ، ومنهم من يختاره خشية ومنهم من يختاره راحة ودعة ، فلم تنحصر أسباب اختيار الكفر في حب الرياسة والمأكلة .

## فصل

### [ السؤال الثاني ]

وأما السؤال الثاني وهو قولكم<sup>(٤)</sup> : « هب أنهم اختاروا الكفر لذلك فهلا اتبع الحق من لا رياسة له ولا مأكلة إما اختياراً وإما قهراً ؟ » .

**فجوابه<sup>(٥)</sup> :** أنا قد بينا أن أكثر من ذكرتم قد آمن بالرسول وصدقته اختياراً لا اضطراراً وأكثرهم أولو العقول والأحلام والعلوم ممن لا يحصيهم إلا الله ، فرقة الإسلام إنما انتشرت

(١) الأسقف : رئيس من رؤساء النصارى فوق القسيس ودون المطران . وجمع : أساقفة . وأساقف .

(٢) في المخطوطة « فله » . (٣) في المخطوطة « فمهم » .

(٤) أصل المخطوط « فصل ، وأما المسألة الثانية وهي قولكم » وقد صححنا تبعاً لرأينا .

(٥) في المخطوطة « فجوابه من وجوه » أحدها . ولم يذكر المؤلف وجوهاً .

في الشرق والغرب بإسلام أكثر الطوائف ، دخلوا دين الله أفواجا حتى صار الكفار معهم تحت الذلة والصغار .

وقد بينا أن الذين أسلموا من اليهود والنصارى والمجوس والصابئين أكثر من الذين لم يسلموا ، وأنه إنما بقي منهم أقلُّ القليل ، وقد دخل في دين الإسلام من ملوك الطوائف ورؤسائهم في حياة رسول الله ﷺ خلق كثير ، فهذا ملك النصارى على إقليم الحبشة ، في زمن النبي ﷺ لما تبين له أنه رسول الله آمن به ودخل في دينه وآوى أصحابه ومنعهم من أعدائهم ، وفصته أشهر من أن تُذكر ، ولما مات أعلم رسول الله ﷺ أصحابه بالساعة التي توفي فيها وبينهما مسيرة شهر ، ثم خرج بهم إلى المصلى وصلى عليه <sup>(١)</sup>

### ﴿ النجاشي يكرم المسلمين ، ويرفض صنيع الكافرين ﴾

روى الزهري عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام الخزومي ، عن أم سلمة زوج النبي ﷺ قالت : لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جارٍ النجاشي ، أمنا على ديننا ، وعبدنا الله لا نُؤذَى ولا نسمع شيئا نكرهه ، فلما بلغ ذلك قريشاً اتتمروا على أن يبعثوا إلى النجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة ، وكان من أعجب ما يأتيه منها الأذم <sup>(٢)</sup> فجمعوا له أذما كثيرا ، ولم يتركوا من بطارقه بطريقاً إلا أهدوا له هدية ، ثم بعثوا بذلك مع عبد الله بن أبي ربيعة الخزومي وعمرو بن العاص ، وأمروها أمرهم ، وقالوا لهما : ادفعا إلى كل سَريقِ هديته قبل أن تُكَلِّمنا النجاشي فيهم ، ثم قدما إلى النجاشي هداياه ، ثم سَلَاهُ أن يسلمهم إليكما قبل أن يكلمهم . قالت : فخرجا قدما على النجاشي ونحن عنده بخير دار مع خير جوار <sup>(٣)</sup> ، فلم يبق من بطارقه بطريق إلا دفعا إليه هديته قبل أن يكلمنا النجاشي . ثم قال لكل بطريق : إنه قد صبا إلى بلد الملك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينكم ، وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أئمتنا ، وقد بعثنا إليك فيهم أشرف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائهم لتردهم إليهم ، فإذا كلمنا الملك فيهم فأشيروا عليه بأن يسلمهم إلينا ولا يكلمهم ، فإن قومهم أعلى بهم عينا ، وأعلم بما عابوا عليهم ، فقالوا : نعم .

ثم إنهما قربا هداياهما إلى النجاشي فقبلها منهما ، ثم كلماه فقالا له : أيها الملك إنه قد

(١) صحيح . البخاري في الجنائز : باب الصفوف على الخنازة [٣/٢٢٢] ومسلم في الجنائز . باب في التكبير على الخنازة

[٦٧ - ٦٢] .

(٢) الأذم : ما يُستنزأ به الخبز . والجمع : أذم . وأذم الطعام : خلطه بالإداه .

(٣) في السيرة النبوية « ونحن عنده بخير دار ، عند خير جارٍ » وفي البداية والنهاية « فنزلنا خير دار إلى خير حار » .

صبا إلى بلدك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك ، وجاعوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنت ، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائهم لتردهم إليهم ، فهم أعلى بهم عينا ، وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه . قالت : ولم يكن شيء أبغض إلى عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص من أن يسمع النجاشي كلامهما ، فقالت بطارقتة حوله : صدقوا<sup>(١)</sup> أيها الملك ، قومهم أعلى بهم عينا وأعلم بما عابوا عليهم فأسلمهم إليهما ليردوهم إلى بلادهم وقومهم ، قالت : ففضب النجاشي ، ثم قال : والله لا أسلمهم إليهما ولا أكاد أن أسلم أقوما جاوروني<sup>(٢)</sup> ونزلوا ببلادى واختاروني على من سواى حتى أدعوهم فأسألمهم ما يقول هذان في أمرهم ، فإن كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهما ورددتهم إلى قومهم وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهما وأحسنت جوارهم ما جاوروني .

قالت : ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺ فدعاهم ، فلما جاءهم رسوله اجتمعوا ، ثم قال بعضهم لبعض : ما تقولون للرجل إذا جئتموه ؟ قالوا : نقول والله ما علمنا وما أمرنا به نبينا ﷺ كأننا في ذلك ما هو كائن ، فلما جاءوه - وقد دعا النجاشي أسألفته فنشروا مصاحفهم حوله - سألمهم فقال : ما هذا الدين الذى فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا في دينى ولا دين أحد من هذه الأمم ؟ قالت : وكان الذى كلمه جعفر بن أبى طالب ، فقال له : أيها الملك ! كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأق الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسئ الجوار ، يأكل القوى منا الضعيف ، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا عرف نسبه وصدقه وأمانته وعفاه ، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ، ونهاننا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة ، وأمرنا أن نعبد الله لا نشرك به شيئا ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام .

قالت : فعدد عليه أمور الإسلام ، فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به فعبدنا الله وحده ولم نشرك به شيئا ، وحرّمنا ما حرّم علينا ، وأحللنا ما أحل لنا ، فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله عز وجل وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث ، فلما قهرونا وظلمونا وشقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى

(١) في السورة النبوية لابن هشام [صيقاً أيها الملك/ والأصح ما في السورة] .

(٢) في السورة . ولا يكاد قوة جاوروني . وهو الأصح ، إلا إذا أصبحت عبارة انخطوطة هكذا . ولا أكاد أن أسلم أقوما

جاوروني .

بلدك ، واخترتاك على من سواك ، ورجبنا في جوارك ، ورجونا أن لا نُظلم عندك إياها الملك .  
 قالت : فقال النجاشي : هل معك مما جاء به عن الله من شيء ؟ قالت : فقال له جعفر :  
 نعم ، فقال له النجاشي : فاقراه على ، فقرأ عليه صدرأ من ﴿ كَهَيْسَةَ ﴾ [ مريم : ١ ] ،  
 قالت : فبكى والله النجاشي حتى اخضلت<sup>(١)</sup> لحيته وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم  
 حين سمعوا ما تلا عليهم ، ثم قال النجاشي : إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة  
 واحدة ، انطلقوا فوالله لا أسامهم إليكما أبداً ولا أكيد ، قالت أم سلمة : فلما خرجنا من  
 عنده ، قال عمرو بن العاص : والله لآتينه غداً أعيهم عنده بما أستأصل به خضراءهم<sup>(٢)</sup> ،  
 قالت : فقال عبد الله بن أبي ربيعة وكان أبقي الرجلين فينا : لا تفعل فإن لهم أرحاماً وإن  
 كانوا قد خالفونا ، قال : والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى ابن مريم عبد ، قالت : ثم  
 غدا عليه من الغد فقال له : أيها الملك إنهم يقولون في عيسى ابن مريم قولاً عظيماً فأرسل  
 إليهم فأسألمهم عما يقولون فيه ، قالت : فأرسل إليهم فسألمهم عنه ، قالت : ولم ينزل بنا مثلها .  
 فاجتمع القوم فقال بعضهم لبعض : ما تقولون في عيسى إذا سألكم عنه ، قالوا : نقول  
 والله فيه ما قال الله عز وجل وما جاء به نبينا كائناً في ذلك ما هو كائن ، فلما دخلوا عليه  
 قال لهم : ما تقولون في عيسى ابن مريم ؟ فقال له جعفر بن أبي طالب : نقول فيه الذي  
 جاء به نبينا : هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته التي ألقاها إلى مريم العذراء البتول وروح  
 منه ، فضرب النجاشي يده إلى الأرض فأخذ منها عوداً ثم قال : ما عدا عيسى ابن مريم ما قلت  
 هذا العود ، فتناخرت<sup>(٣)</sup> بطارقه حوله حين قال ما قال ، فقال : وإن نخرتم ، وإن نخرتم  
 والله ، اذهبوا فأنتم سيوم بأرضي - والسيوم : الآمنون - مَنْ سَبَّكُمْ غَرِمَ من سبكم غرم ،  
 ما أحب أن لي دبرٌ ذَهَبٍ وأني آذيت رجلاً منكم - والدبر : بلسان الحبشة الجبل - ردوا  
 عليها هداياهما فلا حاجة إلى بها ، فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد على ملكي فأخذ  
 الرشوة فيه ، وما أطاعَ الناسُ قِيَّ فأطيعهم فيه .

قالت : فخرجنا من عنده مقبوحين مردوداً عليهما ما جاعوا به ، وأقمنا عنده بخير دار  
 مع خير جار ، قالت : فوالله إنا لعلی ذلك إذ نزل به رجل من الحبشة ينازعه في ملكه ،  
 قالت : فوالله ما علمنا حزناً قط كان أشد من حُزْنِ حَزْنَاهُ عند ذلك تخوفاً أن يظهر على  
 النجاشي فيأتي رجل لا يعرف من حقنا ما كان النجاشي يعرف منه .

قالت : فسار النجاشي وبينهما عرض النيل ، فقال أصحاب رسول الله ﷺ : مَنْ رَجُلٌ

(١) يقال : خَضِلَ : نَدَى وَابْتَلَّ . وَأَخْضَلَ الشَّيْءَ : نَدَّاهُ وَبَلَّه . وَأَخْضَلُ : خَضِيلٌ .

(٢) المعنى : إياهم فيهم من محاسن تدعو إلى الرضا .

(٣) بحر : رُبْتُ بِحَاشِمِهِ . يقال : ما بالدار ناخر : أي أحد .

يخرج حتى يحضر وقعة القوم حتى يأتينا بالخبر؟ قالت: فقال الزبير: أنا، وكان من أحدث القوم سناً، قالت: فنفخوا له قرية فجعلها في صدره ثم سبح عليها حتى خرج إلى ناحية النيل التي بها ملتقى القوم، ثم انطلق حتى حضروهم، قالت: ودعونا الله للنجاشي بالظهور على عدوه والتمكين له في بلاده فاستوثق له أمر الحبشة، فكنا عنده في خير منزل حتى قدمنا على رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>.

فلما كان شهر ربيع الأول سنة سبع من الهجرة كتب رسول الله ﷺ إلى النجاشي كتاباً يدعو فيه إلى الإسلام، وبعث به مع عمرو بن أمية الضمري، فلما قرئ عليه الكتاب أسلم، وقال: «لو قدرت على أن آتية لأتيت» وكتب إليه رسول الله ﷺ أن يزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان ففعل وأصدق عنه أربعمئة دينار، وكان الذي تولى التزويج خالد ابن سعيد بن العاص بن أمية، وكتب إليه رسول الله ﷺ أن يبعث إليه من بقي عنده من أصحابه ويحملهم ففعل، فقدموا المدينة فوجدوا رسول الله ﷺ بخيبر، فشحصوا إليه فوجدوه قد فتح خيبر، فكلم رسول الله ﷺ المسلمين أن يدخلوهم في سهامهم ففعلوا<sup>(٢)</sup>.

فهذا ملك النصارى قد صدق رسول الله ﷺ وآمن به واتبعه. وكم مثله ومن هو دونه ممن هداه الله من النصارى قد دخل في الدين، وهم أكثر بأضعاف مضاعفة ممن أقام على النصرانية.

قال ابن إسحاق: وقدم على رسول الله ﷺ وهو بمكة عشرون رجلاً أو قريباً من ذلك من النصارى حين بلغهم خبره من الحبشة فوجدوه في المسجد، فجلسوا إليه وكلموه، وقاتلهم رجال من قريش في أندية حول الكعبة.

فلما فرغوا من مسألة رسول الله ﷺ عما أرادوا دعاهم رسول الله ﷺ إلى الله، وتلا عليهم القرآن فلما سمعوه فاضت أعينهم من الدمع، ثم استجابوا له وآمنوا به وصدقوه، وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره فلما قاموا عنه اعترضهم أبو جهل بن هشام في نفر من قريش، فقالوا لهم: خيبيكم الله من ركب؟ بعثكم من ورائكم من أهل دينكم ترتادون لهم لتأتوهم بخير الرجل فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقت دينكم وصدقتموه بما قال؟ ما نعلم ركباً أحق منكم؟ أو كما قالوا.

فقالوا لهم: سلام عليكم، لا نجاهلكم، لنا ما نحن عليه ولكم ما أنتم عليه، لم نأل من

(١) القصة إسنادها صحيح. انظر السيرة النبوية لابن هشام [٢٠٥/١ - ٢٠٨] والبداية والنهاية لابن كثير [٧٢/٣] - [٧٦].

(٢) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد [٢٣/٢] والسيرة النبوية [٢٧٠/٣] والبداية والنهاية [٨٣/٣]، ٨٤، ٢٠٥ - [٢٠٨].

أنفسنا خيراً، ويقال : إن نفر من النصارى من أهل نجران ، ويقال فيهم نزلت : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الْكِتَابِ إِذِ اللَّهُ مُخَوِّضٌ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ الْعَالَمِينَ ﴾ [التصوير : ٥٢ - ٥٥] . وقال الزهري : ما زلت أسمع من علمائنا أنهم نزلن في النجاشي وأصحابه<sup>(١)</sup> .

### نصارى نجران وشهادة حق للإسلام

قال ابن إسحاق : ووفد على رسول الله ﷺ وفد نصارى نجران بالمدينة ، فحدثني محمد ابن جعفر بن الزبير ، قال : لما قدم وفد نجران على رسول الله ﷺ دخلوا عليه مسجده بعد العصر ، فحانت صلاتهم فقاموا يصلون في مسجده فأراد الناس منعهم ، فقال رسول الله ﷺ : « دعوهم » فاستقبلوا المشرق فصلّوا صلاتهم ، وكانوا ستين ركباً ، منهم أربعة وعشرون رجلاً من أشرفهم ، منهم ثلاثة نفر إليهم يؤول أمرهم ، هم « العاقب » أمير القوم وذوو رأيهم وصاحب مشورتهم والذي لا يصدرون إلا عن رأيه وأمره ، واسمه عبد المسيح ، و « السيل » ثمّاهم<sup>(٢)</sup> ، وصاحب رحلهم ومجمعهم ، وأبو حارثة بن علقمة أسقفهم وجرهم وإمامهم وصاحب مدارسهم وكان « أبو حارثة » قد شرف فيهم ودرس كتبهم ، وكانت ملوك الروم من أهل النصرانية قد شرفوه ومولوه وأخدموه وبنوا له الكنائس وبسطوا عليه الكرامات لما بلغهم عنه من علمه واجتهاده في دينهم . فلما وجهوا إلى رسول الله ﷺ من نجران جلس أبو حارثة على بغلة متوجهاً إلى رسول الله ﷺ وإلى جنبه أخ له يقال له : كرز بن علقمة يسايره إذ عثرت بغلة أبي حارثة ، فقال له كرز : تَعَسَّ الأبعدُ يريد رسول الله ﷺ ، فقال له أبو حارثة : بل أنت تعست . فقال : ولم يا أخي ؟ فقال : والله إنه النبي الذي كنا ننتظره ، فقال له كرز : فما يمنعك من اتباعه وأنت تعلم هذا ؟ فقال : ما صنع بنا هؤلاء القوم شرفونا ومولونا وأكرمونا وقد أبوا إلا خلافه ، ولو فعلت نزعوا منا كل ما ترى ، فأصرّ عليها أخوه كرز بن علقمة حتى أسلم بعد ذلك<sup>(٣)</sup> .

فهذا وأمثاله من الذين منعتهم الرياسة والمأكل من اختيار الهدى وآثروا دين قومهم . وإذا كان هذا حال الرؤساء المتبوعين الذين هم علماءهم وأخبارهم كان بقيتهم تبعاً لهم ، وليس بمستنكر أن تمنع الرياسة والمناصب والمأكل للرؤساء ويمنع الأتباع تقليدهم ، بل هذا هو الواقع والعقل لا يستشكله .

(١) انظر تفسير ابن كثير [٣٩٤/٣] والسيرة النبوية [٢٤٤/٢ ، ٢٤٥] والبداية والنهاية [٨٢/٣] والصحيح المسند من أسباب النزول [ص ٨٧] .

(٢) ثمّاهم : أصلهم الذي يقصدون إليه ، وكلمة « السيل » كما ورد في المخطوطة ليست صحيحة ، والصحيح كما ورد في السيرة والبداية « السيد » وهو اسم رئيس من رؤسائهم الثلاثة .

(٣) انظر السيرة النبوية [٣٧٦/٢ ، ٣٧٧] والبداية والنهاية [٥٦/٥] .

## ﴿ قصة إسلام عدى بن حاتم الطائي ﴾

وكان من رؤساء النصارى الذين دخلوا في الإسلام لما تبين لهم أنه هو الحق ، الرئيس المطاع في قومه « عدى بن حاتم الطائي » ونحن نذكر قصته كما رواها الإمام أحمد والترمذي والحاكم وغيرهم .

قال عدى بن حاتم : أتيت النبي ﷺ وهو جالس في المسجد ، فقال القوم : هذا عدى ابن حاتم - وجئت بغير أمان ولا كتاب - فلما دفعت إليه أخذ بيدي ، وقد كان قال قبل ذلك : « إني لأرجو<sup>(١)</sup> أن يجعل الله يده في يدي » قال : فقام لي ، فلقبته امرأة وصبي معها فقالا : إن لنا إليك حاجة ، فقام معهما حتى قضى حاجتهما ، ثم أخذ بيدي حتى أتى بي داره فألقت له الوليدة وسادة فجلس عليها ، وجلست بين يديه ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « ما يُفْرِكُ<sup>(٢)</sup> أن تقول لا إله إلا الله ؟ فهل تعلم من إله سوى الله ؟ » قال : قلت : لا ، ثم تكلم ساعة ، ثم قال : « ما يفرك أن يقال الله تعالى أكبر ، وهل تعلم أن شيئاً أكبر من الله ؟ » قال : قلت : لا .

قال : « فإن اليهود مغضوب عليهم وإن النصارى ضلال » قال : قلت : فإني حنيف مسلم ، قال : فرأيت وجهه ينبسط فرحاً ، قال : ثم أمرني فأنزلت عند رجل من الأنصار جعلت أغشاه آتية طرفي النهار ، قال : فبينما أنا عنده عشية إذ جاءه قوم في ثياب من الصوف من هذه الثمار<sup>(٣)</sup> ، قال : فصلى وقام فحث عليهم . ثم قال : « ولو بصاع ، ولو بنصف صاع ، ولو بقبضة ، ولو ببعض قبضة ، يقي أحدكم وجهه حرَّ جهنم أو النار ولو بتمرة ولو بشق تمرة ، فإن أحدكم لأقوى الله وقائلاً له ما أقول لكم : ألم أجعل لك سمعاً وبصراً ؟ فيقول : بلى ، فيقول : ألم أجعل لك مالاً وولداً ؟ فيقول : بلى ، فيقول : أين ما قدمت لنفسك ؟ فينظر قدامه وخلفه وعن يمينه وعن شماله ثم لا يجد شيئاً يقي وجهه حر جهنم ، ليق أحدكم وجهه النار ولو بشق تمرة ، فإن لم يجد فبكلمة طيبة ، فإني لا أخاف عليكم الفاقة ، فإن الله ناصركم ومعطيكم حتى لتسير الظئنة فيما بين يثرب والحيرة أكثر ما يُخَاف على مَعِيَّتِهَا السَّرِقُ » ، قال : فجعلت أقول في نفسي فأين لصوص طي<sup>(٤)</sup> ؟ وكان عدى مطاعاً في قومه بحيث يأخذ المربع<sup>(٥)</sup> من غنائمهم .

(١) في عبارة المخطوطة « إني لا أرجو » والصواب ما أثبتناه من كتب الحديث .

(٢) ما يُفْرِكُ أي يملكك على الفرار . من فَرَّ . وورد بالمخطوطة . ما يضرك . وقد أثبتنا . ما يفرك . تبعاً لما جاء في الترمذي ومسنده أحمد .

(٣) الثمار : كل شملة مخططة من مآزر الأعراب كأنها أخذت من لون الثمر .

(٤) صحيح . الترمذي في تفسير القرآن . سورة قاتمة الكتاب [ ٢٩٥٣ م ] وأحمد في المسند [ ٣٧٨/٤ ، ٣٧٩ ] وصحيح الجامع للألباني [ ٨٢٠٢ ] .

(٥) البرزناغ : رُبْعُ الغنيمة الذي كان يأخذه الرئيس في الجاهلية . والجمع : مزاييع .

وقال حماد بن زيد عن أيوب عن محمد بن سيرين قال : قال أبو عبيدة بن حذيفة : قال عدى بن حاتم : بعث الله محمداً ﷺ فكرهته أشد ما كرهت شيئاً قط ، فخرجت حتى أتيت أقصى أرض العرب مما يلي الروم ، ثم كرهت مكاني أشد مما كرهت مكاني الأول ، فقلت : لو أتيت فسمعت منه ، فأتيت المدينة فاستشرفني الناس ، وقالوا : جاء عدى بن حاتم الطائي ! جاء عدى بن حاتم الطائي ! فقال : « يا عدى بن حاتم الطائي أسلم تسلم » فقلت : إني على دين ، قال : « أنا أعلم بدينك منك » قلت : أنت أعلم بديني مني ؟ قال : « نعم » قال هذا ثلاثاً ، قال « ألسنت ركوسيا »<sup>(١)</sup> ، قلت : بلى ، قال : « فإن ذلك قومك » ، قلت : بلى ، قال : « ألسنت تأخذ المربع » ، قلت : بلى ، قال : « فإن ذلك لا يحل لك في دينك » ، قال : فوجدت بها على غضاضة<sup>(٢)</sup> ، ثم قال : « لعله أن يمنك أن تسلم أن ترى عندنا خصاصة ، وترى الناس علينا ألباً<sup>(٣)</sup> واحداً ، هل رأيت الخيرة ؟ » قلت : لم أرها وقد علمت مكانها ، قال : « فإن الطعينة<sup>(٤)</sup> سترحل من الخيرة تطوف بالبيت بغير جوار ، وليفتحن الله علينا كنوز كسرى بن هرمز » ، قلت : كسرى بن هرمز ؟ قال : « كنوز كسرى بن هرمز ، وليفيض المال حتى ييم الرجل من يقبل منه صدقته » قال : فقد رأيت الطعينة ترحل من الخيرة بغير جوار ، وكنت أول خيل أغارت على المدائن ، ووالله لتكونن الثالثة إنه حديث رسول الله ﷺ<sup>(٥)</sup> .

### ﴿ سلمان يتحدث عن رحلته إلى الإسلام ﴾

وقد كان « سلمان الفارسي » من أعلم النصارى بدينهم ، وكان قد تيقن خروج النبي ﷺ فقدم المدينة قبل مبعته ، فلما رآه عرف أنه هو النبي الذي بشر به المسيح ، فأمن به واتبعه ، ونحن نسوق قصته .. قال ابن إسحاق : حدثني عاصم ، عن محمود ، عن ابن عباس رضی الله عنهما ، قال : حدثني سلمان الفارسي من فيه ، قال : كنت رجلاً فارسياً من أهل أصبهان<sup>(٦)</sup> من قرية يقال لها جى ، وكان أبى دهقان<sup>(٧)</sup> قريته ، وكنت أحب خلق

(١) رَكُوسِيَا : الرُّكُوسِيَّةُ : فرقة لها دينٌ ومذهب بين الساسانيّ، والصابيين .

(٢) غُضَاضَةٌ : الذَّلَّةُ والمنقصة ، والغيب . يقال : لا غضاضة عليك في هذا الفعل .

(٣) الألبُ : القوم يجتمعون على عداوة إنسان . يقال : هم عليه ألبٌ واحد .

(٤) الطعينة : الراحلة يترحل عليها ، والهودج .

(٥) الحاكم في المستدرک وصححه ووافقه الذهبي [٥١٨/٤] وأحمد في المسند [٣٧٨/٤] . وانظر السيرة النبوية [٤٢٧/٤] -

[٤٢٩] والبداية والنهاية [٦٣/٥ - ٦٨] .

(٦) مدينة عظيمة مشهورة ، من أعلام المدن وهي اسم للإقليم كله ، صحيحة الهواء نفيسة الجو ، كان فتحها في بعض سنة

٢٣ هـ وبعض سنة ٢٤ هـ في خلافة عمر بن الخطاب [معجم البلدان ١/٢٦٩ - ٢٧٥] .

(٧) الدّهقان : رئيس القرية ، ورئيس الإقليم والجمع : دهاقين ، ودهاقين .

الله إليه لم يزل حبه إياي حتى حبه إياي حسنى في بيت كما تحبس الجارية<sup>(١)</sup>، فاجتهدت في المحوسية حتى كنت قطن النار التي توقدها لا تركها تحبو ساعة .  
وكانت لأبي ضيعة عظيمة فشغل في بنيان له يوماً ، فقال : يا بنى إني قد شغلت في بنياني هذا اليوم عن ضيعتي فاذهب إليها فاطلعتها ، وأمرني فيها ببعض ما يريد ، ثم قال لى : ولا تحبس عنى فإنك إن احتبست عنى كنت أهم إني من ضيعتي وشغلتنى عن كل شيء من أمرى .

فخرجت أريد ضيعة التي بعثنى إليها فمررت بكنيسة من كنائس النصارى فسمعت أصواتهم فيها وهم يصلون ، وكنت لا أدري ما أمر الناس لحبس أبى إياي في بيته ، فلما سمعت أصواتهم دخلت عليهم أنظر ما يصنعون ، فلما رأيتهم أعجبتنى صلاتهم ورغبت في أمرهم ، وقلت : هذا والله خير من الذى نحن عليه ، فوالله ما برحتهم حتى غربت الشمس وتركت ضيعة فلم آتيا ، ثم قلت لهم : أين أصل هذا الدين ؟ قالوا : بالشام .

فرجعت إلى أبى وقد بعث في طلبى وشغلته عن عمله كله ، فلما جئته قال : يا بنى أين كنت ؟ ألم أكن عهدت إليك ما عهدت ؟ قلت : يا أبت مررت بأناس يصلون في كنيسة لهم فأعجبني ما رأيته من دينهم فوالله ما زلت حتى غربت الشمس ، قال : أى بى ! ليس في ذلك الدين خير ، دينك ودين آبائك خير منه ، فقلت له : كلا والله إنه لخير من ديننا .

فخافنى فجعل في رجلى قيلاً ثم حسنى في بيته ، وبعثت إلى النصارى فقلت لهم : إذا قدم عليكم ركب من الشام فأخبروني بهم ، فقدم عليهم تجار من النصارى فأخبروني ، فقلت لهم : إذا قضاوا حوائجهم وأرادوا الرجعة إلى بلادهم فأذنوني بهم ، قال : فلما أرادوا الرجعة أخبروني بهم فألقيت الحديد من رجلى ثم خرجت معهم حتى قدمت الشام ، فلما قدمتها قلت : من أفضل أهل هذا الدين علماً ؟ قالوا : الأسقف في الكنيسة ، فجئته فقلت له : إني قد رغبت في هذا الدين ، وأحببت أن أكون معك فأخدمك في كنيستك ، وأتعلم منك ، وأصلى معك ، قال : ادخل فدخلت معه

فكان رجل سوء يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها فإذا جمعوا إليه شيئاً منها اكتنزه لنفسه ولم يعطه المساكين ، حتى جمع سبع قلال<sup>(٢)</sup> من ذهب وورق<sup>(٣)</sup> ، فأبغضته بغضاً شديداً لما رأيته يصنع ، ثم مات واجتمعت النصارى ليدفنوه ، فقلت لهم : إن هذا كان رجل سوء

(١) في السيرة النبوية . وكنت أحب خلق الله إليه ، لم يزل به حبه إياي حتى حسنى في بيته كما تحبس الجارية . وهو الأصوب .

(٢) قلال : مفردتها : قلعة . وهى إناء من الفخار يثرب منها .

(٣) ورق : الفضة ، مضروبة كانت أو غير مضروبة . والجمع : أوراق . وورق .

يأمركم بالصدقة ويرغبكم فيها فإذا جئتموه بها اكتنزها لنفسه ولم يعط المساكين منها شيئاً ، فقالوا لى : وما علمك بذلك ؟ قلت : أنا أدلكم على كنز ، فأريتهم موضعها فاستخرجوا سبع قلال مملوءة ذهباً وورقاً ، فلما رأوها قالوا : والله لا ندفنه أبداً ، فصلبوه ورموه بالحجارة .

وجاءوا برجل آخر فجعلوه مكانه ، فما رأيت رجلاً يصلى - أرى - أنه أفضل منه ولا أزهدي في الدنيا ولا أرغب في الآخرة ولا أدأب ليلاً ولا نهاراً منه ، فأحبته حباً لم أحبه شيئاً قبله ، فأقمت معه زماناً ثم حضرته الوفاة ، فقلت له : يا فلان إني قد كنت معك وأحببتك حباً لم أحبه أحداً قبلك ، وقد حضرك من أمر الله ما ترى ، فألى من توصى لى ؟ وبم تأمرنى ؟ فقال : أى بنى والله ما أعلم أحداً على ما كنت عليه ، ولقد هلك الناس وبدلوا وتركوا أكثر ما كانوا عليه إلا رجلاً بالموصل وهو فلان وهو على ما كنت عليه .

فلما مات وغيب لحقت بصاحب الموصل ، فقلت له : يا فلان إن فلاناً أوصانى عند موته أن ألحق بك ، وأخبرنى أنك على أمره ، فقال : أقم عندى ، فأقمت عنده فوجدته خير رجل على أمر صاحبه ، فلما حضرته الوفاة قلت له : يا فلان إن فلاناً أوصى لى إليك وأمرنى بالحق بك وقد حضرك من أمر الله ما ترى ، فألى من توصى لى ؟ وبم تأمرنى ؟ قال : يا بنى والله ما أعلم رجلاً على مثل ما كنا عليه إلا رجلاً بنصيبين وهو فلان فالحق به . فلما مات وغيب لحقت بصاحب نصيبين فأخبرته خبرى وما أمرنى به صاحبه ، فقال :

أقم عندى ، فأقمت عنده فوجدته على أمر صاحبه ، فأقمت مع خير رجل ، فوالله ما لبث أن نزل به الموت ، فلما حضر قلت له : يا فلان إن فلاناً أوصى لى لى فلان ، ثم أوصى لى فلان إليك فألى من توصى لى ؟ وبم تأمرنى ؟ فقال : يا بنى ! والله ما أعلمه بقى أحد على أمرنا أمرك أن تأتبه إلا رجلاً بعمورية من أرض الروم ، فإنه على مثل ما نحن عليه ، فإن أحببت فأته . فلما مات وغيب لحقت بصاحب عمورية فأخبرته خبرى ، فقال : أقم عندى ، فأقمت عند خير رجل على هدى أصحابه وأمرهم ، فاكتسبت حتى كانت لى بغيرات وغنيمة ، ثم نزل به أمر الله ، فلما حضر قلت له : يا فلان إني كنت مع فلان فأوصى لى لى فلان ، ثم أوصى لى فلان إليك ، فألى من توصى لى ؟ وبم تأمرنى ؟ قال : يا بنى والله ما أعلمه أصبح على مثل ما كنا عليه أحد من الناس أمرك أن تأتبه . ولكنه قد أطل زمان نبي مبعوث بدين إبراهيم يخرج بأرض العرب ، مهاجرة إلى أرض بين حرتين ، بينهما نخل ، به علامات لا تخفى .. يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة ، بين كفيه خاتم النبوة ، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل ، ثم مات وغيب ، فمكثت بعمورية ما شاء الله أن أمكث . ثم مر لى نفر من كلب تجار ، فقلت لهم : احملونى إلى أرض العرب وأعطيكم بغيراتى هذه

وغنيمتى هذه ، قالوا : نعم فأعطيتهم فحملوني معهم ، حتى إذا بلغوا وادى القرى ظلموني فباعوني من رجل يهودى فكنت عنده ، فرأيت النخل فرجوت أن يكون البلد الذى وصف لى صاحبي ولم يحق فى نفسى ، فبينما أنا عنده إذ قدم عليه ابن عم له من بنى قريظة من المدينة فابتاعنى منه فحملنى إلى المدينة ، فوالله ما هو إلا أن رأيتها فعرفتها بصفة صاحبي ، فأقمت بها .

وُبعث رسول الله ﷺ فأقام بمكة ما أقام لا أسمع له بذكر مع ما أنا فيه من شغل الرق ، ثم هاجر إلى المدينة ، فوالله إنى لفى رأس عِدْق<sup>(١)</sup> لسيدى أعمل فيه بعض العمل وسيدى جالس تحتى إذ أقبل ابن عم له حتى وقف عليه ، فقال : يا فلان قاتل الله بنى قيلة<sup>(٢)</sup> والله إنهم الآن لمجتمعون معنا على رجل قدم عليهم من مكة اليوم يزعمون أنه نبي ، فلما سمعتها أخذتني العرواء<sup>(٣)</sup> حتى ظننت أنى ساقط على سيدى ، فنزلت عن النخلة فجعلت أقول لابن عمه ذلك ما تقول ؟

فغضب سيدى فلكننى لكمة شديدة ، ثم قال : مالك ولهذا ؟ أقبل على عملك ، فقلت : لا شيء إنما أردت أن أستبثته عما قال ، وقد كان عندى شيء جمعته فلما أمسيت أخذته ثم ذهبت به إلى رسول الله ﷺ وهو بقيا فدخلت عليه ، فقلت له : إنه قد بلغنى أنك رجل صالح ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة ، وهذا شيء كان عندى للصدقة فرأيتكم أحق به من غيركم ، فقربته إليه ، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه : « كلوا » وأمسك فلم يأكل ، فقلت فى نفسى : هذه واحدة ، ثم انصرفت عنه فجمعت شيئاً .

وتحول رسول الله ﷺ إلى المدينة ثم جمته به ، فقلت : إنى قد رأيتك لا تأكل الصدقة وهذه هدية أكرمتك بها ، فأكل رسول الله ﷺ ، وأمر أصحابه فأكلوا معه ، فقلت فى نفسى : هاتان اثنتان : ثم جئت رسول الله ﷺ وهو ببيع الغرقد قد تبع جنازة رجل من أصحابه وعلّى شملتان لى وهو جالس فى أصحابه فسلمت عليه ثم استدرت أنظر إلى ظهره هل أرى الخاتم الذى وصف لى صاحبي فلما رآنى استدبرته عرف أنى أستبثت فى شيء وصف لى ، فألقى الرداء عن ظهره ، فنظرت إلى الخاتم فعرفته ، فأكبت عليه أقبله وأبكى ، فقال لى رسول الله ﷺ : « تحول » فتحولت فجلست بين يديه ، فقصصت عليه حديثى كما حدثتك يابن عباس ، فأعجب رسول الله ﷺ أن يسمع ذلك أصحابه .

(١) عِدْق : كل عُصْن له شعب ، وقتو النخلة . الجمع : أعداق ، وعُدُوق .

(٢) قال ابن هشام : قيلة بنت كاهل بن عذرة بن سعد بن زيد بن ليث بن سود بن أسد بن الحارث بن قضاة ، أم الأوس والمخزرج .

(٣) العرواء : الرعدة من البرد والانتفاض .

ثم شغل سلمان الرق حتى فاته مع رسول الله ﷺ بدر واحد ، قال سلمان : ثم قال لى رسول الله ﷺ : « كَاتِبٌ يَا سَلْمَانَ » ، فكاتبته صاحبى على ثلاثائة نخلة أحبسها له بالفقر ، وأربعين أوقية ، فقال رسول الله ﷺ : « أَعِينُوا أَحَاكِمَ » فأعانونى بالنخل ؛ الرجل بثلاثين ودية<sup>(١)</sup> ، والرجل بخمسة عشر ، والرجل بعشر ، يعينى الرجل بقدر ما عنده ، حتى اجتمعت لى ثلاثائة ودية ، فقال لى رسول الله ﷺ : « اذهب يا سلمان فَفَقَّرْ<sup>(٢)</sup> لها فَإِذَا فرغت فَأَتْنِى أَكُنْ أَنَا أَضْعُهَا بِيَدِى » ففقرت ، وأعانتى أصحابى حتى إذا فرغت جنته فأخبرته . فخرج معى إليها ، فجعلنا تقرب إليه الودى ويضعه رسول الله ﷺ بيده حتى فرغت ، فوالذى نفس سلمان بيده مامت منها ودية واحدة ، فأدبت النخل وبقي على المال ، فأتى رسول الله ﷺ بمثل بيضة الدجاجة من ذهب من بعض المعادن ، فقال : « ما فعل الفارسي المكاتب » فدعيت له فقال : « خذ هذه فأدها مما عليك يا سلمان » فقلت : وأين تقع يا رسول الله مما على ؟ قال : « خذها فإن الله سيؤدى بها » فأخذتها فوزنت منها لهم والذى نفسى بيده أربعين أوقية فأوفيتهم حقهم ، فشهدت مع رسول الله ﷺ الخندق ثم لم يفتنى بعد مشهد<sup>(٣)</sup>

### حديث بين هرقل وأبى سفيان عن نبى الإسلام ﷺ

وكان ملك الشام - أحد أكابر علمائهم بالنصرانية - هرقل قد عرف أنه رسول الله ﷺ حقاً ، وعزم على الإسلام فأبى عليه عباد الصليب ، فخافهم على نفسه ، وضمن بملكه - مع علمه - أنه سينقل عنه إلى رسول الله ﷺ وأمته - ونحن نسوق قصته .

ففى الصحيحين من حديث عبد الله بن عباس ، أن أبى سفيان أخبره من فيه إلى فيه ، قال : انطلقت فى المدة التى كانت بينى وبين رسول الله ﷺ ، قال : فبيننا أنا بالشام إذ جىء بكتاب رسول الله ﷺ إلى هرقل ، وقد كان دحية بن خليفة<sup>(٤)</sup> جاء به فدفعه إلى عظيم بَصْرَى<sup>(٥)</sup> ، فدفعه عظيم بصرى إلى هرقل ، فقال هرقل : هل ههنا أحد من قوم هذا الرجل الذى يزعم أنه نبى ؟ قالوا : نعم ، قال : فدعيت فى نفر من قريش ، فدخلنا على هرقل ، فأجلسنا بين يديه ، وأجلسوا أصحابى خلفى ، فدعا بترجمانه فقال : قل لهم إنى سائل هذا عن الرجل الذى يزعم أنه نبى فإن كذبتى فكذبوه ، فقال أبو سفيان : وأيم الله لولا مخافة أن يؤثر على الكذب لكذبت .

ثم قال لترجمانه : سله كيف حسبه فيكم ؟ قال : قلت : هو فينا ذو حسب .. قال :

(١) الودى : صغار الفسيل ، واحدها : ودية . (٢) ففقر للفيلة : حفر لها حفرة لتغرس فيها .

(٣) انظر السيرة النبوية لابن هشام [ ١٣٣/١ - ١٣٧ ] .

(٤) وحية بن خليفة الكلبي ، صحابى جليل كان أحسن الناس وجهاً ، أسلم قديماً ، وبعثه النبى فى آخر سنة ست من الهجرة بعد أن رجع من الحديبية بكتابه إلى هرقل . وكانت وفاة دحية فى خلافة معاوية .

(٥) بَصْرَى : مدينة بين المدينة ودمشق . وقيل : هى حوران .

فهل كان من آباءه من ملك ؟ قلت : لا . قال : فهل كنتم تهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قلت : لا . قال : ومن اتبعه أشراف الناس أم ضعفاؤهم ؟ قلت : بل ضعفاؤهم ، قال : أيزيدون أم ينقصون ؟ قلت : لا ، بل يزيدون ، قال : فهل يرتد أحد منهم عن دينه بعد أن يدخل فيه سَخَطَةً<sup>(١)</sup> له ؟ قال : قلت : لا ، قال : فهل قاتلتموه ؟ قلت : نعم ، قال : فكيف كان قتالكم إياه ؟ قال : قلت : يكون الحرب بيننا وبينه سَجَالاً يصيب منا ونصيب منه ، قال : فهل يغدر ؟ قلت : لا ، ونحن منه في مدة ما ندرى ما هو صانع فيها . قال : فوالله ما أمكنتني من كلمة أدخل فيها شيئاً غير هذه ، قال : فهل قال هذا القول أحد قبله ؟ قلت : لا . قال لترجمانه : قل له إني سألتك عن حسبه فرزعت أنه فيكم ذو حسب ، وكذلك الرسل تبعث في أحساب قومها ، وسألتك هل كان في آباءه ملك ؟ فرزعت أن لا ، فقلت : لو كان في آباءه ملك لقلت رجل يطلب ملك آباءه ، وسألتك عن أتباعه أضعفاؤهم أم أشرافهم ؟ فقلت : بل ضعفاؤهم ، وهم أتباع الرسل ، وسألتك هل كنتم تهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ فرزعت أن لا ، فقد عرفت أنه لم يكن يَدْعُ الكذب على الناس ثم يذهب فيكذب على الله عز وجل ، وسألتك هل يرتد أحد منهم عن دينه بعد أن يدخله سَخَطَةً له ؟ فرزعت أن لا وكذلك الإيمان إذا خالطت بشاشته القلوب ، وسألتك هل يزيدون أم ينقصون فرزعت أنهم يزيدون ، وكذلك الإيمان حتى يتم . وسألتك هل قاتلتموه فرزعت أنكم قاتلتموه فيكون الحرب بينكم وبينه سجالاً ينال منكم وتنالون منه وكذلك الرُّسُلُ تبلى ثم تكون لها العاقبة . وسألتك هل يغدر ؟ فرزعت أنه لا يغدر ، وكذلك الرسل لا تغدر . وسألتك هل قال هذا القول أحد قبله ؟ قلت : بل قال هذا القول أحد من قبله قلت رجل إِنْتَمَّ بقول قيل قبله .. ثم قال : فمِمَّ يأمركم ؟ قلت : بأمرنا بالصلاة والزكاة والصلة والعفاف .

قال : إن يكن ما تقول حقاً إنه لنبى ، وقد كنت أعلم أنه خارج ولكن لم أكن أظنه منكم ، ولو أعلم أنى أخلص إليه لأحببت لقاءه ، ولو كنت عنده لَمَسَلْتُ عن قدميه وليلغن ملكه ما تحت قَدَمِي .

ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ فقراه ، فإذا فيه : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم ، سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد .. فإني أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلِمُ تسلّم ، أسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، وإن توليت فإن عليك أثم الأريسيين<sup>(٢)</sup> و ﴿ يَا هَٰؤُلَاءِ الْكِتَابِ تَمَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ

(١) سَخَطَةً : من ارتد عن دين الإسلام غير مكروه ، بل نزعبة في غيره لهوى في نفسه .

(٢) الأريسيين جمع أريسي قال ابن سيده : الأريسي : الفلاح . وقيل : هو الأمير . قال أبو عبيدة : المراد بالفلاحين أهل -

وَلَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ، فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ [ آل عمران : ٦٤ ] . فلما قرأه وفرغ من قراءة الكتاب ارتفعت الأصوات عنده وكَثُرَ اللَّعْطُ ، وأمر بنا فأخرجنا ، ثم أذن هرقل لعظماء الروم في دسكرة<sup>(١)</sup> له بجمص ، ثم أمر بأبوابها فغلقت ، ثم اطلع فقال : يا معشر الروم ! هل لكم في الفلاح والرشد وأن تثبت مملكتكم فتبايعوا هذا النبي ؟ فحاصوا<sup>(٢)</sup> حيصة حمر الوحش إلى الأبواب فوجدوها قد غلقت ، فما رأى هرقل نفرتهم وأيس من الإيمان قال : ردوهم عليّ ، فقال : إني قلت مقاتلي أنفا أختبر بها شدتكم على دينكم ، وقد رأيت ، فسجدوا له ورضوا عنه<sup>(٣)</sup> . فهذا ملك الروم - وكان من علمائهم أيضاً - عرف وأقر أنه نبي وأنه سيملك ما تحت قدميه وأحب الدخول في الإسلام فدعا قومه إليه فولوا عنه معرضين كأنهم حُمُرٌ مستنفرة قُرَّتْ من قَسْوَرَةٍ ومنعه من الإسلام الخوف على ملكه ورياسته ، ومنع أشباه الحمير ما منع الأمم قبلهم .

### رسائل الرسول ﷺ إلى الملوك والرؤساء وموقفهم منه

ولما عرف « النجاشي ملك الحبشة » أن عباد الصليب لا يخرجون عن عبادة الصليب إلى عبادة الله وحده أسلم سراً ، وكان يكتن إسلامه بينهم هو وأهل بيته ولا يمكنه مجاهرتهم ، ذكر ابن إسحاق أن رسول الله ﷺ أرسل إليه عمرو بن أمية الضمري رضى الله عنه مكانه يدعوه إلى الإسلام ، فقال له عمرو : يا أصحمة ! على القول وعليك الاستماع : إنك كأنك في الرقة علينا منا وكأنا في الثقة بك منك لأننا لم نظن بك خيراً قط إلا نلناه ، ولم نخفك على شيء قط إلا أمناه ، وقد أخذنا الحجة عليك من فيك ، الإنجيل بيننا وبينك شاهد لا يرد وقاض لا يجور ، وفي ذلك موقع الحزِّ وإصابة المفصل ، وإلا فأنت في هذا النبي الأُمِّي كاليهود في عيسى ابن مريم ، وقد قَرَّقَ النبي ﷺ رسله إلى الناس فرجاك لما لم يرجعهم له ، وأمنك على ما خافهم عليه لخبر سالف وأجر منتظر .

فقال النجاشي : أشهد بالله إنه للنبي الأُمِّي الذي ينتظره أهل الكتاب ، وأن بشارة زكريا براكب الحمار كبشارة أشعياء براكب الجمل<sup>(٤)</sup> ، وأن العيان ليس بأشفي من الخبر .

= مملكته ، لأن كل من يزرع فهو عند العرب فلاح ، سواء كان يلى ذلك نفسه أو غيره . وقال الخطابي : أراد أن عليك ثم الضعفاء والأتباع إذا لم يسلموا تقليداً له ، لأن الأصغر أتباع الأكبر .

(١) الدسكرة : بناء كالمصر حول بيوت للأعاجم فيها الشراب والملاهي . يكون للملوك . والجمع : دساكر .  
(٢) حاصوا : أى نفروا ، وشبههم بالوحوش لأن نفرتها أشد من نفرة البهائم الإنسية ، وشبههم بالحمير دون غيرها من الوحوش لمناسبة الجهل وعدم الفطنة بل هم أضل .

(٣) صحيح . البخارى في بدء الوحي [ ٤٢/١ - ٤٤ ] وفي مواضع أخرى متعددة .  
(٤) ورد في المخطوطة « وأن بشارة موسى براكب الحمار كبشارة عيسى براكب الجمل » وهو موافق لما ورد في رسالة النجاشي

قال الواقدي : وكتب رسول الله ﷺ إليه : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى النجاشي ملك الحبشة .. أسلم أنت فأني أحد إليك الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن ، وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البعل الطيبة الحصينة ، حملت بعيسى ، فخلقه من روحه ونفخه ، كما خلق آدم بيده وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له ، والموالة على طاعته ، وأن تبغني وتؤمن بالذي جاءني فأني رسول الله إليك ، وإني أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل ، وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتي والسلام على من أتبع الهدى »<sup>(١)</sup> ..

فكتب إليه النجاشي : « بسم الله الرحمن الرحيم ، إلى محمد رسول الله ، من النجاشي أصحمة ، سلام عليك يا نبي الله من الله وبركات الله الذي لا إله إلا هو .. أما بعد فلقد بلغني كتابك فيما ذكرت من أمر عيسى ، فورب السماء والأرض إن عيسى لا يزيد على ما ذكرت تفروقاً ، إنه كما ذكرت ، وقد عرفنا ما بُعثت به إلينا ، وقد قرأنا ابن عمك وأصحابه ، فأشهد إنك رسول الله صادقاً مصداقاً وقد بايعتك وبايعت ابن عمك وأسلمت على يديه لله رب العالمين »<sup>(٢)</sup> . و « التفروق » علامة تكون بين النواة والتمر .

**فصل :** وكذلك ملك دين النصرانية بمصر المقوقس ، عرف أنه نبي صادق ، ولكن منعه من اتباعه ملكه وأن عباد الصليب لا يتركون عبادة الصليب .

ونحن نسوق حديثه وقصته ، قال الواقدي : كتب إليه رسول الله ﷺ : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد بن عبد الله إلى المقوقس عظيم القبط ، سلام على من أتبع الهدى ، أما بعد ، فأني أدعوك بداعية الإسلام ، أسلم تسلم ، أسلم يؤتلك الله أجره مرتين ، فإن توليت فإن عليك إثم القبط ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ، فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا

كما جاء في سفراء النبي وكتابه ورسائله [ص ٣٤] . لكن الذي بشر براكب الحمار - وهو عمر بن الخطاب - زكريا بن برخيا وهو غير زكريا الذي ورد ذكره في القرآن ، ونص بشارته « ابتغى جدا هابسة صهيون اهتفى يابنت أورشليم . هو ذا ملكك يأتي إليك هو عادل ومنصف وديع وراكب على حمار وعلى جحش ابن أتان » [زكريا ٩ : ٩ حتى ٢١ : ٥] يقول الشيخ عبد الوهاب النجار في كتاب قصص الأنبياء ، وكان في زمن داريوس أي قبل زمن المسيح بما يقرب من ثلاثة قرون وهو الذي تكلم في كتابه في الفصل التاسع عن ولاية عمر بن الخطاب وغلبه على أورشليم ودخوله إليها منصوراً وادعاً راكباً على حمار [ص ٣٦٨] .

أما الذي بشر براكب الجمل - وهو محمد ﷺ - فهو إشعيا بن نصر . بشارته « اذهب أقمه الخارس . ليخبر بما يرى . فرأى ركاباً أزواج فرسان . ركاب حمير . ركاب جمال » [إشعيا ٢١ : ٦ ، ٧] . [السقا] .  
 (٢) انظر سفراء النبي وكتابه ورسائله للدكتور مختار الوكيل ص ٣٣ . (سلسلة كتابت) .  
 التفروق : هو ما بين النواة وقمع التمر ، والجمع : تفاريق .

اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ [آل عمران : ٦٤] وختم الكتاب<sup>(١)</sup> .

فخرج به حاطب حتى قدم عليه الإسكندرية ، فانتهى إلى حاجبه فلم يلبث أن أوصل إليه كتاب رسول الله ﷺ ، وقال حاطب للمقوقس لما لقيه : إنه قد كان قبلك رجل يزعم أنه الرب الأعلى ﴿ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ﴾ [النازعات : ٢٥] ، فانتقم به ثم انتقم منه ، فاعتبر بغيرك ولا يعتبر بك غيرك . قال : هات ، قال : إن لنا ديناً لم ندعه إلا لما هو خير منه وهو الإسلام الكافي به الله فقد ما سواه ، إن هذا النبي دعا الناس فكان أشدهم عليه قريش وأعداهم له اليهود وأقربهم منه النصارى ، ولعمري ما بشاراة موسى بعبسى إلا كبشاراة عيسى بمحمد .

وما دعاؤنا إياك إلى القرآن إلا كدعائك أهل التوراة إلى الإنجيل ، وكل نبي أدرك قوماً فهم من أمته ، فالحق عليهم أن يطيعوه ، فأنت ممن أدرك هذا النبي ، ولسنا ننهاك عن دين المسيح ولكننا نأمرك به .

فقال المقوقس : إني قد نظرت في أمر هذا النبي فرأيت لا يأمر بمزهود فيه ولا ينهى عن مرغوب عنه ، ولم أجده بالساحر الضال ولا الكاهن الكاذب ، ووجدت معه آلة النبوة من إخراج الخبء والإخبار بالنجوى<sup>(٢)</sup> ، ووصف لحاطب أشياء من صفة النبي ﷺ ، وقال : القبط لا يطاوعوننى في اتباعه ، ولا أحب أن تعلم بمحاورتي إياك ، وأنا أضن بملكى أن أفرقه ، وسيظهر على بلادى وينزل بساحتى هذه أصحابى من بعده ، فارجع إلى صاحبك . وأخذ كتاب النبي ﷺ فجعله في حُقِّ<sup>(٣)</sup> من عاج وختم عليه ودفعه إلى جارية له ، ثم دعا كاتباً له يكتب بالعربية ، فكتب : « بسم الله الرحمن الرحيم ، لمحمد بن عبد الله ، من المقوقس عظيم القبط ، سلام عليك ، أما بعد .. فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه ، وما تدعو إليه وقد علمت أن نبياً بقى ، وكنت أظن أنه يخرج بالشام ، وقد أكرمت رسولك وبعثت إليك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم ، وبكسوة وأهديت إليك بغلة لتركبها ، والسلام عليك » ولم يزد<sup>(٤)</sup> .

والجاريتان : مارية وسيرين ، و « البغلة » دُلْدُل ، وبقيت إلى زمن معاوية .

قال حاطب : فذكرت قوله لرسول الله ﷺ ، فقال : « ضن الحثيث بملكه ، ولا بقاء

لملكه » .

(١) انظر سفراء النبي وكتابه ورسائله للدكتور مختار الوكيل ص ٣٧ .

(٢) الخبء : المُدَّخِر ، والمخبوء ، والنجوى : إسرار الحديث .

(٣) حُقِّ : وعاءٌ صغير ذو غطاء يتخذ من عاج أو زجاج أو غيرهما .

(٤) انظر البداية والنهاية لابن كثير [٢٧٢/٤] وسفراء النبي وكتابه ورسائله ص ٣٨ .

**فصل :** وكذلك « ابنا الجلندی ملكا عمان وما حولها » من ملوك النصرارى أسلما طوعاً واختياراً ، ونحن نذكر قصتهما وكتاب رسول الله ﷺ إليهما ، وهذا لفظه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد بن عبد الله إلى جيفر وعبيد ابني الجلندی<sup>(١)</sup> ، سلام على من اتبع الهدى .. ( أما بعد ) .. فأبى أدعوكا بداعية الإسلام ، أسلما تسلما ، فأبى رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين ، وإنكما إن أقررتما بالإسلام ولئيتكما مكانكما ، وإن أبيتا أن تقررا بالإسلام فإن ملككما زائل عنكما ، وخيل تحمل بساحتكما ، وتظهر نبوتى على ملككما<sup>(٢)</sup> . وختم الكتاب وبعث به مع عمرو بن العاص .

قال عمرو بن العاص : فخرجت حتى انتهيت إلى عمان ، فلما قدمتها انتهيت إلى عبيد وكان أحلم الرجلين وأسهلها حُلُقاً ، فقلت : إني رسول رسول الله ﷺ إليك وإلى أخيك ، فقال : أخى المقدم على بالسن والملك ، وأنا أوصلك إليه حتى يقرأ كتابك ، ثم قال لى : وما تدعو إليه ؟ قلت : أدعوك إلى الله وحده لا شريك له وتخلع ما عبد من دونه ، وتشهد أن محمداً عبده ورسوله ، قال : يا عمرو إنك سيد قومك فكيف صنع أبوك فإن لنا فيه قدوة ؟ قلت : مات ولم يؤمن بمحمد ﷺ ووددت أنه كان أسلم وصدق به ، وكنت أنا على مثل رأيه حتى هدانى الله للإسلام .

قال : فمتى تبعته ؟ قلت : قريباً . فسألنى أين كان إسلامى ؟ فقلت : عند النجاشى وأخبرته أن النجاشى قد أسلم ، قال : فكيف صنع قومه بملكه ؟ قلت : أقروه ، قال : والأساقفة والرهبان ؟ قلت : نعم . قال : انظر يا عمرو ما تقول إنه ليس خصلة فى رجل أفضح له من كذب ، قلت : ما كذبت وما نستحله فى ديننا ، ثم قال : ما أرى هرقل علم بإسلام النجاشى ، قلت : بلى ، قال : بأى شيء علمت ذلك ؟ قلت : كان النجاشى يخرج له خراجاً فلما أسلم وصدق بمحمد ﷺ قال : لا والله لو سألتى درهماً واحداً ما أعطيته ، فبلغ هرقل قوله ، فقال : له نياق أخوه : أتدعُ عبدك لا يخرج لك خراجاً ويدين ديناً محدثاً ؟ قال هرقل : رجل رغب فى دين واختاره لنفسه ما أصنع به ، والله لولا الضن بملكى لصنعت كما صنع .

قال : انظر ما تقول يا عمرو ؟ قلت : والله لقد صدقتك ، قال عبيد : فأخبرنى ما الذى

(١) اختلفت المصادر فيما بينها فى اسمى صاحبى عمان فقال ابن كثير : جيفر بن الخلدى وعمار بن الجلندی . وقال ابن هشام : « جيفر وعبيد بنى الجلندی الأزديين » وقال ابن القيم : « جيفر وعبيد الله بن الجلندی الأزديين انظر البداية والنهاية [٢٧٣/٤] والسيرة النبوية [٤٤٩/٤] وزاد المعاد لابن القيم [٣١/١] .

(٢) انظر سفراء النبى وكتابه ورسائله ص ٤١ .

يأمر به وينهى عنه ؟ قلت : يأمر بطاعة الله عز وجل وينهى عن معصيته ، ويأمر بالبر وصلة الرحم وينهى عن الظلم والعدوان ، وعن الزنا وشرب الخمر ، وعن عبادة الحجر والوثن والصليب ، فقال : ما أحسن هذا الذي يدعو إليه لو كان أخى يتابعنى لركبنا حتى نؤمن بمحمد ونصدق به ، ولكن أخى أضن بملكه من أن يدعه ويصير ديناً . قلت : إنه إن أسلم ملكه رسول الله ﷺ على قومه فأخذ الصدقة من غنيهم فردها على فقيرهم ، قال : إن هذا لخلق حسن ، وما الصدقة ؟ فأخبرته بما فرض رسول الله ﷺ من الصدقات في الأموال حتى انتهت إلى الإبل ، فقال : يا عمرو ويؤخذ من سوائم<sup>(١)</sup> مواشينا التي ترعى الشجر وترد المياه ؟ فقلت : نعم ، فقال : والله ما أرى قومي في بعد دارهم وكثرة عددهم يطيعون بهذا ، قال : فمكثت ببابه أياماً وهو يصل إلى أخيه فيخبره كل خبرى . ثم إنه دعانى يوماً فدخلت عليه فأخذ أعوانه بضبعي<sup>(٢)</sup> ، فقال : دعوه فأرسلت ، فذهبت لأجلس فأبوا أن يدعوني أجلس ، فنظرت إليه فقال : تكلم بحاجتك ، فدفعت إليه الكتاب مختماً ففرض خاتمه فقرأه حتى انتهى إلى آخره ، ثم دفعه إلى أخيه فقرأه مثل قراءته إلا أنى رأيت أخاه أرق منه ، ثم قال : ألا تخبرنى عن قريش كيف صنعت ؟ فقلت : اتبعوه إما راغب في الإسلام وإما مقهور بالسيف ، قال : ومن معه ؟ قلت : الناس قد رغبوا في الإسلام واختاروه على غيره وعرفوا بعقولهم مع هدى الله إياهم أنهم كانوا في ضلال ، فما أعلم أحداً بقى غيرك في هذه الحرجة<sup>(٣)</sup> ، وإن أنت لم تسلم اليوم وتتبعه يوطئك الخيل ويبيد حضرائك ، فأسلم تسلم ويستعملك على قومك ولا تدخل عليك الخيل والرجال ، قال : دعنى يومى هذا وارجع إلى غداً ، فرجعت إلى أخيه ، فقال : يا عمرو إني لأرجو أن يسلم إن لم يضمن بملكه . حتى إذا كان الغد أتيت إليه فابئى أن يأذن لى فانصرفت إلى أخيه فأخبرته أنى لم أصل إليه فأوصلنى إليه ، فقال : إنى فكرت فيما دعوتنى إليه فإذا أنا أضعف العرب إن ملكت رجلاً ما فى يدى وهو لا يبلغ خيله ههنا ، وإن بلغت خيله ألفت قتالاً ليس كقتال من لاقى ، قلت : وأنا خارج غداً ، فلما أيقن بمخرجى خلا به أخوه فقال : ما نحن فيما قد ظهر عليه ، وكل من أرسل إليه قد أجابه ، فأصبح فأرسل إلى فأجاب إلى الإسلام هو وأخوه جميعاً وصدقاً النبى ﷺ ، وخلياً بينى وبين الصدقة وبين الحكم فيما بينهم ، وكانا لى عوناً على من خالفنى .

وكتب النبى ﷺ إلى هودذة بن على الحنفى « صاحب الإمامة » : « بسم الله الرحمن

(١) السائمة : كل إبل أو ماشية ترسل للرعى ولا تُؤلف .

(٢) ضبعى : الضبع : ما بين الإبط إلى نصف العضد من أعلاه . وهما ضبعان .

(٣) الحرجة : غبضة الشجر الملتفة لا يقدر أحد أن ينفذ فيها . والجمع : حرج ، وجراج .

الرحيم ، من محمد رسول الله إلى هودة بن علي ، سلام على من اتبع الهدى ، واعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخُفِّ والحافِر ، فأسلم تسلم ، أجعل لك ما تحت يدك<sup>(١)</sup> . وكان عنده أركون دمشق عظيم من عظماء النصارى فسأله عن النبي ﷺ ؟ وقال : قد جاءني كتابه يدعوني إلى الإسلام ، فقال له الأركون : لم لا تحببه ؟ فقال : ضننت بديني وأنا ملك قومي إن اتبعته لم أملك ، قال : بلى والله لكن اتبعته ليمكنك وإن الخيرة لك في اتباعه ، والله إنه للنبي العربي الذي بشر به عيسى ابن مريم ، والله إنه لمكتوب عندنا في الإنجيل .

**فصل :** وذكر الواقدي أن رسول الله ﷺ بعث شجاع بن وهب إلى الحارث بن أبي شمر ، وهو بغيطة<sup>(٢)</sup> دمشق ، فكتب إليه مرجعه من الحديدية : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى الحارث بن أبي شمر ، سلام على من اتبع الهدى وآمن به وصدق ، فإني أدعوك إلى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له ، يبقى لك ملكك ، وختم الكتاب

فخرج به شجاع بن وهب ، قال : فانتبهت إلى حاجبه فوجدته يومئذ وهو مشغول بتهيئة الإنزال والإلطاف لقيصر وهو جاء من حمص إلى إيليا<sup>(٣)</sup> حيث كشف الله عنه جنود فارس شكراً لله عز وجل ، قال : فأقمت على بابه يومين أو ثلاثة ، فقلت لحاجبه : إني رسول رسول الله إليه ، فقال حاجبه : لا تصل إليه حتى يخرج يوم كذا وكذا ، وجعل حاجبه ، وكان رومياً اسمه مري ، يسألني عن رسول الله ﷺ وما يدعو إليه فكنت أحدثه فيرق حتى يغلبه البكاء ، ويقول : إني قرأت في الإنجيل وأجد صفة هذا النبي بعينه . فكنت أراه يخرج من الشام فأراه قد خرج بأرض العرب ، فأنا أؤمن به وأصدقه وأنا أخاف من الحارث بن أبي شمر أن يقتلني ، قال شجاع : فكان هذا الحاجب يكرمني ويحسن ضيافتي ، ويجبرني عن الحارث ما بالناس منه ، ويقول : هو يخاف قيصر ، قال : فخرج الحارث يوماً وجلس فوضع التاج على رأسه فأذن لي عليه ، فدفعت إليه كتاب رسول الله ﷺ فقرأه ، وقال : من ينتزع مني ملكي ؟ أنا سائر إليه ولو كان بائمين جنته ، علئى بالناس ، فلم يزل جالساً يعرض حتى الليل ، وأمر بالخيول أن تتعل<sup>(٤)</sup> ، ثم قال : أخبر صاحبك ما ترى ، وكتب إلى قيصر يخبره خبري فصادف قيصر بإيليا وعنده دحية الكلبي قد بعثه إليه رسول الله ﷺ ،

(١) انظر سفراء النبي وكتابه ورسائله ص ٤٢ ، ٤٣ .

(٢) المرجع السابق ص ٤٤ .

(٣) إيلياء ، وإيليا : معناه بيت الله وهو بيت المقدس .

(٤) يقال : نعل الدابة : كسا حافرها أو خفها ما يقيه .

فلما قرأ يقصر كتاب الحارث كتب إليه أن لا تسير إليه وآله عنه ووافني بإيليا ، قال : ورجع الكتاب وأنا مقيم ، فدعاني وقال : متى تريد أن تخرج إلى صاحبك ؟ قلت : غداً ، فأمر لي بمائة مثقال ذهباً ، ووصلني مري بنفقة وكسوة ، وقال : اقرأ على رسول الله ﷺ مني السلام وأخبره أني متبع دينه ، قال شجاع : فقدمت على رسول الله ﷺ فأخبرته فقال : « باد ملكه » وأقرأته من مري السلام وأخبرته بما قال ، فقال رسول الله ﷺ : « صدق » .

**فصل :** ونحن إنما ذكرنا بعض ملوك الطوائف الذين آمنوا به وأكابر علمائهم وعظماهم ولا يمكننا حصر من عداهم وهم جمهور أهل الأرض ، ولم يتخلف عن متابعتهم إلا الأقلون ، وهم : إما مسالم له قد رضى بالذلة والجزية والهوان ، وإما خائف منه فأهل الأرض معه ثلاثة أقسام : مسلمون له ، ومسالمون له ، وخائفون منه .

### ﴿﴾ إسلام عبد الله بن سلام وموقف اليهود منه ﴿﴾

ولو لم يسلم من اليهود في زمنه إلا سيدهم على الإطلاق وابن سيدهم وعلمهم وابن علمهم باعتبارهم له بذلك وشهادتهم « عبد الله بن سلام » لكان في مقابلة كل يهودي على وجه الأرض فكيف وقد تابعه على الإسلام من الأحرار والرهبان من لا يحصى عددهم إلا الله .

ونحن نذكر قصة عبد الله بن سلام ، روى البخارى في صحيحه من حديث عبد العزيز ابن صهيب عن أنس بن مالك ، قال : أقبل رسول الله ﷺ إلى المدينة ، فقالوا : جاء نبي الله ، فاستشرفوا ينظرون ، إذ سمع به عبد الله بن سلام وهو في نخل لأهله يخترف<sup>(١)</sup> لهم منه ، فعجل أن يضع الذي يخترف لهم فيها فجاء وهي معه ، فسمع من نبي الله ﷺ ثم رجع إلى أهله ، فلما خلا نبي الله ﷺ جاء عبد الله بن سلام ، فقال : أشهد أنك نبي الله حقاً وأنت جئت بالحق ، ولقد علمت اليهود أني سيدهم وابن سيدهم وأعلمهم وابن أعلمهم ، فادعهم فاسألهم عنى قبل أن يعلموا أني قد أسلمت ، فإنهم إن يعلموا أني قد أسلمت قالوا في ما ليس في .

فأرسل نبي الله ﷺ إليهم فدخلوا عليه ، فقال لهم نبي الله ﷺ : « يا معشر اليهود ويلكم ! اتقوا الله ، فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أني رسول الله حقاً ، وأنى جنتكم بحق ، أسلموا » ، قالوا : ما نعلمه ، فأعادها عليهم ثلاثاً وهم يجيبونه كذلك ، قال : « أى رجل فيكم عبد الله بن سلام ؟ » قالوا : ذاك سيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا ، قال : « أفرأيم إن أسلم ؟ » ، قالوا : حاشا لله ما كان ليسلم ، فقال : « يابن سلام اخرج عليهم » فخرج عليهم فقال : يا معشر اليهود ويلكم ، اتقوا الله ! فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم

(١) خَرَفَ في بستانه : أقام فيه وقت اجتناء النمر في الخريف . وخرف الثمر : جناه في الخريف .

لتعلمون أنه رسول الله حقاً، وأنه جاء بالحق، فقالوا: كذبت، فأخرجهم النبي ﷺ. وفي صحيح البخارى أيضاً من حديث حميد عن أنس، قال: سمع عبد الله بن سلام بقدم رسول الله ﷺ وهو في أرض له، فأق النبي ﷺ فقال: إني سألتك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي، ما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام أهل الجنة؟ وما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى أمه؟، قال: «أخبرني بين جبريل أنفأ»، قال: جبريل؟، قال: «نعم»، قال: ذاك عدو اليهود من الملائكة، قال: ثم قرأ هذه الآية ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٩٧]. ثم قال: «أما أول أشراط الساعة فإنا نخرج على الناس من المشرق والمغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت، وإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد إلى أبيه، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزع الولد إلى أمه»، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله، إن اليهود قوم بُهتٌ<sup>(٢)</sup>، وإنهم إن تعلموا بإسلامي قبل أن تسألهم عنى بهتوني، فجاءت اليهود إليه، فقال: «أى رجل فيكم عبد الله بن سلام؟» قالوا: خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا، قال: «أرايتم إن أسلم عبد الله بن سلام؟» قالوا: أعاده الله من ذلك، فخرج عبد الله فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، قالوا: شرنا وابن شرنا، وانتقصوه، قال: هذا الذى كنت أخاف يا رسول الله<sup>(٣)</sup>.

وقال ابن إسحاق: حدثني عبد الله بن أنى بكر، عن يحيى بن عبد الله، عن رجل من آل عبد الله بن سلام، قال: كان من حديث عبد الله بن سلام حين أسلم وكان حبراً عالماً قال: سمعت رسول الله ﷺ وعرفت صفته واسمه وهياته والذى كنا نتوكف له<sup>(٤)</sup>، فكنت مسراً لذلك صامتاً عليه حتى قدم رسول الله ﷺ المدينة، فلما قدم نزل معنا في بنى عمرو بن عوف، فأقبل رجل حتى أخبر بقدمه وأنا في رأس نخلة لي أعمل فيها، وعمتي خالدة بنت الحارث تحتى جالسة، فلما سمعت الخبر بقدم رسول الله ﷺ، كبرت، فقالت لي عمتي حين سمعت تكبيرى: لو كنت سمعت بموسى بن عمران ما زدت. قال: قلت لها: أى عمه هو والله أخو موسى بن عمران وعلى دينه بُعث بما بُعث به، فقالت: يأين، أخى أهو النبي الذى كنا نبشر به أنه يبعث مع نفس الساعة؟ قال: قلت:

(١) صحيح . البخارى في مناقب الأنصار . باب هجرة نبي وأصحابه إلى المدينة [٢٩٤ . ٢٩٣/٧] .

(٢) يقال : بهت فلان : قذفه بالباطل ، وقوم بهت : هم ندى يبتون سماع بما يفترونه عليه من الكذب .

(٣) صحيح . البخارى في مناقب الأنصار . باب كيف أخى نبي بين أصحابه [٣١٩/٧] وفي التفسير . من سورة البقرة

[١٥/٨] .

(٤) تَوَكَّفَ فلان لفلان : تعرض له حتى يبقاه . وتوكف فلاناً : تعهده ونظر في أمره .

هناهم ، قالت : فذاك إذن ، قال : ثم خرجت إلى رسول الله ﷺ فأسلمت ، ثم رجعت إلى أهل بيتي فأمرتهم فأسلموا ، وكنتم إسلامي من اليهود ، ثم جئت رسول الله ﷺ فقلت : إن اليهود قوم بُهتٌ وإني أحب أن تدخلني في بعض بيوتك تغيبني عنهم ثم تسألم عنى كيف أنا فيهم قبل أن يعلموا بإسلامي ؟ فإنهم إن علموا بذلك يهتوني وعابوني .

قال : فأدخلني بعض بيوته ، فدخلوا عليه فكلموه وسألوه ، فقال لهم : « أى رجل عبد الله بن سلام فيكم ؟ » ، قالوا : سيدنا وابن سيدنا وحبرنا وعالمنا ، قال : فلما فرغوا من قولهم خرجت عليهم ، فقلت لهم : يا معشر اليهود ! اتقوا الله واقبلوا ما جاءكم به ، فوالله إنكم لتعلمون أنه رسول الله تجدونهُ مكتوباً عندكم في التوراة اسمه وصفته ، فإنى أشهد أنه رسول الله ، وأؤمن به وأصدقته وأعرفه ، قالوا : كذبت ، ثم وقعوا فئى ، فقلت : يا رسول الله ألم أخبرك أنهم قوم بهت أهل غدر وكذب وفجور ؟! قال : فأظهرت إسلامي وأسلم أهل بيتي ، وأسلمت عمتى ابنة الحارث فحبسن إسلامها<sup>(١)</sup> .

وفي مسند الإمام أحمد وغيره عنه قال : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وانجفل<sup>(٢)</sup> الناس قبله ، فقالوا : قدم رسول الله ﷺ ، قال : فجئت في الناس لأنظر إلى وجهه ، فلما رأيت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب ، فكان أول شيء سمعته منه أن قال : « يأئيبها الناس أطعموا الطعام ، وأفشوا السلام ، وصلوا الأرحام ، وصلوا الناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام »<sup>(٣)</sup> .

فعلماء القوم وأخبارهم كلهم كانوا كما قال الله عز وجل : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ﴾ [ البقرة : ١٤٦ ] ، فمنهم من آثر الله ورسوله والدار الآخرة ، ومنهم من آثر الدنيا وأطاع داعى الحسد والكبر .

وفي مغازى موسى بن عقبة عن الزهرى ، قال : كان بالمدينة مقدم رسول الله ﷺ أوثان تعبدها رجال من أهل المدينة لا يتركونها ، فأقبل عليهم قومهم وعلى تلك الأوثان فهدموها ، وعمد أبو ياسر بن أخطب أخو حبي بن أخطب وهو أبو صفية زوج النبي ﷺ فجلس إلى النبي ﷺ . فسمع منه وحادثه ، ثم رجع إلى قومه وذلك قبل أن تصرف القبلة نحو المسجد الحرام فقال أبو ياسر : يا قوم أطيعوني فإن الله عز وجل قد جاءكم بالذى كنتم تنتظرون ، فاتبعوه ولا تخالفوه .

(١) إسناده حسن . السيرة النبوية لابن هشام [ ٣٢٨/٢ ، ٣٢٩ ] والبداية والنهاية لابن كثير [ ٢١١/٣ ، ٢١٢ ] .

(٢) انجفل الناس : قال السيوطى : أى ذهبوا مسرعين . وفي الصحاح : انجفل القوم أى انقلبوا كلهم ومضوا .

(٣) صحيح . الترمذى في صفة القيامة [ ٢٤٨٥ ] وابن ماجه في إقامة الصلاة . باب ما جاء في قيام الليل [ ١٣٣٤ ] وفي الأظعمة . باب إطعام الطعام [ ٣٢٥١ ] وأحمد في المسند [ ٤٥١/٥ ] والحاكم في المستدرک [ ١٣/٣ ] وابن سعد في الطبقات [ ٢٣٥/٤ ] والسلسلة الصحيحة للألبانى [ ٥٦٩ ] .

فانطلق أخوه حبي حين سمع ذلك - وهو سيد اليهود يومئذ وهما من بني النضير - فأتى النبي ﷺ فجلس إليه وسمع منه ، فرجع إلى قومه وكان فيهم مطاعاً ، فقال : أتيت من عند رجل والله لا أزال له عدواً أبداً ، فقال له أخوه أبو ياسر ، يابن أمي أطعني في هذا الأمر ثم اعصني فيما شئت بعده لئلا تهلك ، قال : لا والله لا أطيعك واستحوذ عليه الشيطان فاتبعه قومه على رأيه<sup>(١)</sup> .

وذكر ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر عن حدثه عن صفية بنت حبي أنها قالت : لم يكن من ولد أبي وعمي أحد أحب إليهما مني لم ألقهما في ولد قط إلا أخذاني دونه ، فلما قدم رسول الله ﷺ قبا نزل في بني عمرو بن عوف ، فغدا إليه أبي وعمي أبو ياسر ابن أخطب مغلسين<sup>(٢)</sup> ، فوالله ما جاء إلا مع مغيب الشمس ، فجاءا فاترين كسولين ساقطين يمشيان الهويني<sup>(٣)</sup> ، فهششت<sup>(٤)</sup> إليهما كما كنت أصنع فوالله ما نظر إلى واحد منهما ، فسمعت عمي أبا ياسر يقول لأبي : أهو هو ؟ قال : نعم والله ، قال : تعرفه بنعته وصفته ؟ قال : نعم والله ، قال : فماذا في نفسك منه ، قال : عداوته والله ما بقيت<sup>(٥)</sup> .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس ، قال : لما أسلم عبد الله بن سلام وثعلبة بن سعية وأسد بن سعية وأسيد بن عبيد ومن أسلم من اليهود وآمنوا وصدقوا ورجعوا في الإسلام ، قال مَنْ كَفَرَ مِنَ الْيَهُودِ : ما آمن بمحمد ولا اتبعه إلا شرارنا ، ولو كانوا من خيارنا ما تركوا دين آبائهم وذهبوا إلى غيره ، فأنزل الله عز وجل في ذلك : ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً ، مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ • يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾<sup>(٦)</sup> [ آل عمران : ١١٣ ، ١١٤ ] .

(١) انظر البداية والنهاية لابن كثير [ ٢١٢/٣ ] .

(٢) مغلسين : القلَسُ : ظلمة آخر الليل إذا اختلطت بضوء الصباح .

(٣) الهَوَيْتِيُّ : الأثمد في المشي . يقال : هم غمسي الهويني .

(٤) يقال : هش إليه وله : انشرح صدره سروراً به .

(٥) سبق تخريجه .

(٦) الهيشمي في مجمع الزوائد وقال : رواه الطبراني ورجاله ثقات [ ٣٣٠/٦ ] ولورد صاحب الصحيح المسند من أسباب النزول ، سببين لنزول هذه الآية هذا أحدهما ، ثم علق قائلاً : واختار الإمام أبو جعفر بن جرير الأول (أى سبب النزول الآخر الذي ذكره المؤلف) حيث قال بعد ذكره جملة من الأقوال غير أن الأولى بتأويل الآية قول من قال عسى بذلك - تلاوة القرآن في صلاة العشاء لأنها صلاة لا يصلحها أحد من أهل الكتاب فوصف الله أمة محمد بأنهم يصلونها دون أهل الكتاب الذين كفروا بالله ورسوله ثم يحتم المؤلف حديثه مبيناً رأيه في ذلك فيقول : وأقول لإمانع من نزول الآية في الجميع أو أنه تعدد سبب نزولها والله أعلم بالصحيح المسند من أسباب النزول ص ٤٦ ، ٤٧ . والذي أراه أن السبب الذي أورده ابن القيم ضعيف ، لأن فيه =